قطوف من
(رسالة الأزهر)

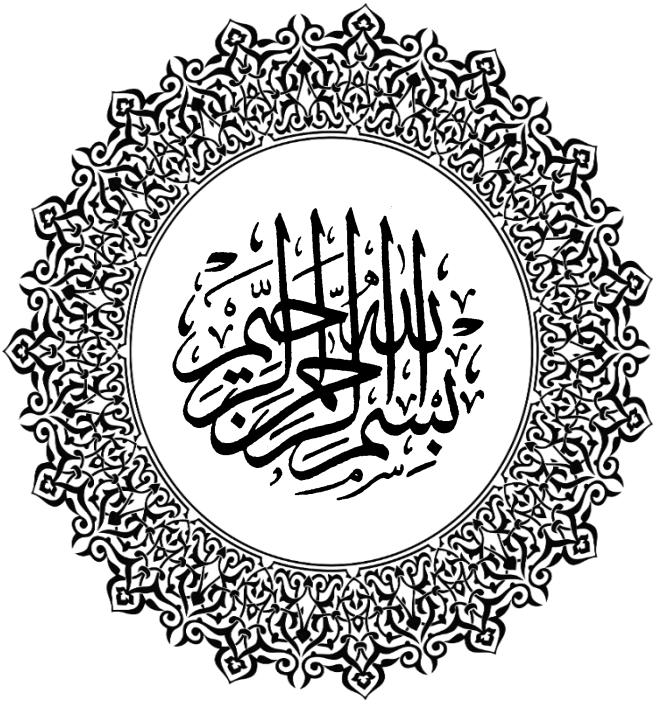
بسم الله الرحمن الرحيم

الأزهر الشريف

هيئة كبار العلماء

قطوف من

(رسالة الأزهر)

للأستاذ الأكبر

الشيخ محمود شلتوت

شيخ الأزهر الأسبق

(ت ١٣٨٣هـ /١٩٦٣م)

الأزهر الشريف

هيئة كبار العلماء

تليفون: ٠٢٢٥٩٣٩٠٤٦

فاكس: ٠٢٢٥٩٣٩٤٦

البريد الإلكتروني:

SeniorsCouncil@alazhar.eg

الموقع الإلكتروني:

ww.azhar.eg\scholars

العنوان:

ش الأزهر – أمام مسجد

سيدنا الإمام الحسين – القاهرة

*****

فهرست الهيئة المصرية العامة لدار الكتب والوثائق القومية:

قطوف من (رسالة الأزهر)

الشيخ محمود شلتوت

ص: ١٤ × ٢٠ سم

عدد الصفحات: ٥٦

الطبعة الأولى

لهيئة كبار العلماء

١٤٤١هـ / ٢٠٢٠ م

متعهد الطبع:

مجمع مطابع الأزهر الشريف

تليفون: ٠٢ ٢٦٨٤٠٥٥٧

فاكس: ٠٢ ٢٦٨٤٠٥٥٧

****

تصميم الغلاف:

أ/ إسماعيل محمد عبده على

رقم الإيداع: ٢٠١٩/٢٧٩١٧

افتتاحية

الحمدُ للهِ، والصلاةُ والسلامُ على سيدنا رسولِ اللهِ، وآلِه وصحبِه ومَن والاه ... وبعد:

فإن مركزَ اتزانِ الكرةِ الأرضيةِ ـ جغرافيًّا وفكريًّا ومجتمعيًّا ـ هو العالمُ العربيُّ والإسلاميُّ؛ الذي يستندُ إلى (**مصر الأزهر**) وبها قِوامُه؛ يأخذُ منها ويتلقى عنها؛ جيلاً وَراءَ جيلٍ.

وبريادة فضيلةِ الإمامِ الأكبرِ الأستاذ الدكتور أحمد الطيب شيخِ الأزهرِ وتوجيهاته؛ **يقوم الأزهر الشريف** بأداء واجبه من خلال منهاجه الوسطي الأصيلِ، وعالميةِ رسالتِه وعِلميتها؛ فيعمل على:

- إنارةِ العقولِ وَهِدَايَتِهَا، والعملِ على رقيِّها ويقظتِها.

- وقايةِ المجتمعاتِ من انحرافِ الأفكارِ وتشددها، وباطلِ الآراءِ وساقِطِها، ومرذولِ العادات ودخيلِها.
- وقد وسعت وسطيته وعالمية رسالته: تنوعَ الفُهومِ، واختلافَ العاداتِ، وتعدُّدَ الثقافاتِ؛ وصار ما تُصْدِرُهُ أرضُ الكنانةِ محطَّ الأنظارِ، ومبعثَ القدوةِ والاحتذاءِ، وبخاصة فيما يمسُّ الشرعَ الشريفَ.

وتأتي هيئةُ كبارِ العلماءِ وهي قمةُ الجهازِ العلمي في الأزهر الشريف؛ لتقوم بدورها في هذا السبيل، مِن:

- تجليةِ صحيح الدين، وبيان وسطيته واعتداله: عقيدة وشريعة وأخلاقًا.
- تصحيحِ المفاهيم، وردّ الشبهات، وكشفِ عوارِ الأفكارِ المنحرفةِ والمتطرفةِ.

- معالجةِ قضايا العصر ومشكلاته.
- تلبيةِ حاجات المجتمع، وإجابة تساؤلاته.
- ترسيخِ قيم التعايش والمواطنة ، ودعم رفعة الأوطان ورُقيِّها.

ويتجلى طرف من ذلك في هذه الإصدارات للسادة العلماء الأجلاء؛ أعضاءِ الهيئة- ومَن في درجتهم- قدامى ومعاصرين. والرسالة التي معنا كُتبت منذ أكثر من نصف قرن، وهى تعرض لصفحة من جهاد فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت في العمل على تحقيق عالمية رسالة الأزهر.

وبالله تعالى التوفيق

أ.د/ صلاح محمود العادلي
أمين عام الهيئة

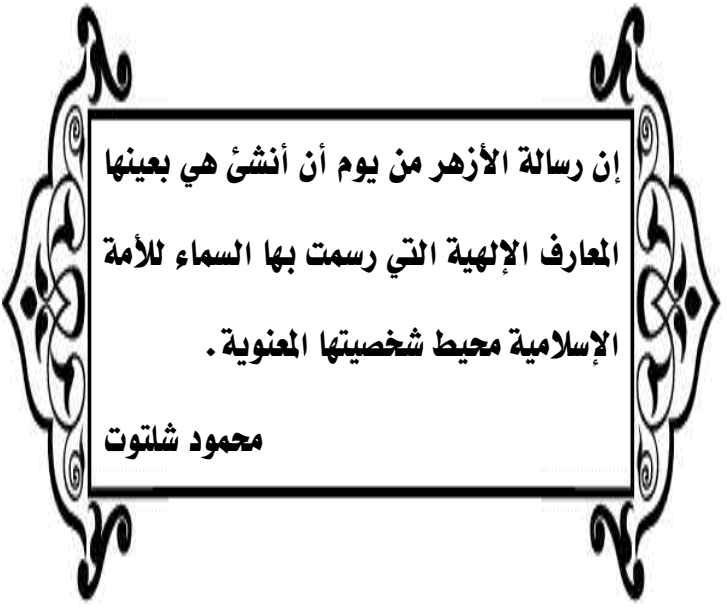
إن رسالة الأزهر من يوم أن أنشئ هي بعينها
المعارف الإلهية التي رسمت بها السماء للأمة
الإسلامية محيط شخصيتها المعنوية.
محمود شلتوت

الشيخ محمود محمد شلتوت

١٣١٠ هـ -١٨٩٣م/ ١٣٨٣هـ -١٩٦٣م

هو الإمام الجليل، والفقيه الكبير، والمصلح الاجتماعي، شيخ الأزهر الشيخ الإمام محمود محمد شلتوت، ولد في ٦ شوال ١٣١٠هـ/٢٣أبريل١٨٩٣م في منية بني منصور من أعمال مركز إيتاي البارود بمحافظة البحيرة، وحفظ الشيخ القرآن الكريم، ثم التحق بمعهد الإسكندرية الديني سنة١٣٢٤هـ/ ١٩٠٦م، وحصل على المركز الأول في جميع مراحل الدراسة، ونال شهادة العَالِمية سنة ١٣٣٦هـ/١٩١٨م، وكان أول الناجحين فيها.

عُيِّن الشيخ محمود شلتوت مُدرِّسًا بمعهد الإسكندرية الدِّيني في أوائل سنة ١٣٣٧هـ/١٩١٩م، وفي هذا العام قامت الثورة الشعبية المصرية ضد الاحتلال الإنجليزي لمصر بزعامة

الزعيم سعد زغلول، وقام الشيخ محمود شلتوت بواجبه الديني والوطني، وشارك فيها بقلمه ولسانه وجرأته المعهودة فيه[١].

وعندما عُيِّن الإمام الشيخ محمد مصطفى المراغي شيخًا للأزهر رأى أن ينتفع بالشيخ الإمام محمود شلتوت نظرًا لما توافر فيه من المواهب الفذة، والثقافة الواسعة، وحبه للتجديد والإصلاح، فنقله إلى القاهرة مُدَرِّسًا بالقسم العالي، وكان يرأسه في وقتها الشيخ الإمام عبد المجيد سليم، الذي تولي مشيخة الأزهر بعد ذلك[٢].

وكان الشيخ الإمام محمود شلتوت قد كتب عدة مقالات في جريدة السياسة اليومية، والأهرام، والمقطم تأييدًا لما دعى إليه الشيخ المراغي، من مبادئ إصلاح الأزهر[٣]، ولكنه في ذلك

(١) ينظر: مشيخة الأزهر منذ إنشائها حتى الآن ٢/٥٤٣؛ والأزهر في ١٢ عام ص ٧١.
(٢) ينظر: النور الأبهر في طبقات شيوخ الجامع الأزهر، ص١٢٩.
(٣) مجلة الرسالة، العدد (٤١٢)، ١٩٤١/٥/٢٦م.

التوقيت كان هناك من بين رجال الأزهر -وغيرهم- مَنْ يقاوم هذه الحركة الإصلاحية، فقامت العقبات في طريقها فاستقال الشيخ الإمام المراغي على الرغم من مكانته العلمية بين المستنيرين من علماء الأزهر وطلابه المعروفين[١].

وبعد أن تولي المشيخة الإمام الظواهري، وكان من رجال الإصلاح، ولكنه كان يرى التأني في الأمر ومراعاة الظروف حتى يستقر الوضع، ويمكن التفاهم مع ولاة الأمر في تنفيذ خطوات الإصلاح، وقابله كثير من العلماء والطلبة بثورة عاتية، فقابل ثورتهم بالشدة والعنف، ففصل الشيخ محمود شلتوت من منصبه، كما فصل عشرات من صفوة علماء الأزهر ومشايخه الذين كانوا في طليعة المصلحين؛ لأنه نظر إليهم بوصفهم من مؤيدي الشيخ المراغي، وممن يناصبونه العداء[٢]، وبعد فصله

(١)ينظر: النهضة الإسلامية في سير أعلامه المعاصرين،١/ ٤٥٢
(٢) ينظر: الأزهر في ألف عام، ٥/ ١٨٦.

الأزهر الشريف عمل الشيخ محمود شلتوت بالمحاماة أمام المحاكم الشرعية، وكأن الله هيأ له ذلك ليدرس أحوال الأسرة المصرية دراسة ميدانية، فيرى مسائل الزواج والطلاق والميراث والنفقة على طبيعتها الحية بين المتخاصمين، وليراجع ما كتبه الفقهاء مراجعة من ينشد استقرار الأسرة الإسلامية في ضوء التشريع الصحيح، ثم انقضت أزمة الباحث المجتهد وفي شهر ذي القعدة ١٣٥٣هـ/ فبراير من سنة ١٩٣٥م أعيد إلى عمله بالأزهر الشريف مع بعض المفصولين، فعُيِّن مُدَرِّسًا بكلية الشريعة، واختار أن يدرس مادة جديدة لم تكن مقررة من قبل، هي مادة الفقه المقارن،[١] ولما عاد الإمام المراغي إلى المشيخة عيَّنه وكيلًا لكلية الشريعة[٢].

(١) ينظر: النهضة الإسلامية ١/٤٥٣،٤٥٢

(٢) ينظر: الأزهر في ألف عام،٣/٤٤٣.

وقد مثل الشيخ شلتوت الأزهر في المؤتمر المنعقد بمدينة لاهاي في هولندا في جمادى الآخرة ١٣٥٦هـ/ أغسطس سنة ١٩٣٧م، وقد وقع الاختيار عليه من المجلس الأعلى للأزهر ليكون عضوًا في الوفد الذي يمثله في هذا المؤتمر، فتقدَّم الشيخ شلتوت للمؤتمر برسالة قيمة عن المسؤولية المدنية والجنائية في الشريعة الإسلامية، ونالت الرسالة استحسان أعضاء المؤتمر وإعجابهم، فأصدروا قرارًا بصلاحية الشريعة للتطور، وأنها مصدر من مصادر التشريع الحديث، وأنها أصيلة وليست مقتبسة من غيرها من الشرائع الوضعية ولا متأثرة بها، كما أصدر المؤتمر قرارًا بأن تكون اللغة العربية إحدى لغات المؤتمر في دوراته المقبلة، وأن يدعى إلى هذا المؤتمر أكبر عددٍ ممكن من علماء الشريعة على اختلاف المذاهب والأقاليم[1].

(١) ينظر: مشيخة الأزهر منذ إنشائها حتى الآن٢/٥٤٥،٥٤٤

وفي عام ١٣٥٨هـ/ ١٩٣٩م عُيِّن الشيخ محمود شلتوت مفتشًا بالمعاهد الدينية، فكانت ملاحظاته وتقريراته بمثابة الدراسات الشاملة النافعة لأحوال المعاهد الدينية في مختلف النواحي العلمية والإدارية والإصلاحية، ورأى فضيلة الإمام المراغي أن يعيده مرة ثانية وكيلًا لكلية الشريعة، وذلك في محرم ١٣٥٦هـ/ أبريل١٩٣٧م ؛ ليمكنه من تحقيق برامجه الإصلاحية فيها[١]، ثم عُيِّن مفتشًا بالإدارة العامة بالجامع الأزهر في رجب ١٣٥٧هـ/ سبتمبر١٩٣٨م[٢].

(١) ينظر: الأزهر في ألف عام، ٣/٤٤٣.
(٢) ينظر مشيخة الأزهر٢/٥٤٥

عضويته بهيئة كبار العلماء:

في عام ١٩٤١م تقدم الشيخ محمود شلتوت برسالته (المسئولية المدنية والجنائية في الشريعة الإسلامية) لنيل عضوية هيئة كبار العلماء ففاز بها بإجماع الأعضاء، وصدر الأمر الملكي رقم (٢٤) لسنة ١٩٤١م بتعيين فضيلة الشيخ محمود شلتوت عضوًا بهيئة كبار العلماء، وشمل الأمر الملكي كلًا من الشيخ يوسف موسى المرصفي، والشيخ محمد أحمد عرفة، والشيخ محمد أحمد العتريس، والشيخ محمد الشربيني سليمان، والشيخ أمين محمد الشيخ، والشيخ أحمد محمد حميدة، والشيخ حسين يوسف البيومي، والشيخ حامد محمد محيسن[١]

(١)الوقائع المصرية العدد(١١٤) السنة(١١٢) يوم الاثنين٢٥أغسطس ١٩٤١م

ثم عُين مراقبًا عامًا لمراقبة البحوث والثقافة الإسلامية بالأزهر في سنة١٣٦٩هـ/١٩٥٠م، ثم عُيِّن مستشارًا لمنظمة المؤتمر الإسلامي في سنة ١٣٧٦هـ/١٩٥٧م، ثم عُيِّن وكيلًا للأزهر والمعاهد الدينية في ١٧ربيع الثاني١٣٧٧هـ/ ٩نوفمبر ١٩٥٧م، وسكرتير عام المؤتمر الإسلامي، وتُوِّج ذلك بتعيينه شيخًا للأزهر في ٢٩ربيع الأول ١٣٧٨هـ/١٣أكتوبر١٩٥٨م (وصدر القرار الجمهوري في ٨ربيع الثاني ١٣٧٨هـ/٢١ أكتوبر ١٩٥٨م)[١]

(١) ينظر: نثر الجواهر والدرر٢/ ٥١٥٥ ؛: الأزهر في ألف عام، أحمد محمد عوف، مجمع البحوث الإسلامية، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م، ص١٣٤.

عطاؤه العلمي:

كان للشيخ محمود شلتوت عطاؤه العلمي، فتتلمذ له الكثير من طلبة العلم بحكم الأماكن التي عمل بها، ومن أشهرهم الشيخ محمد فوزي فضل الله[١] الدكتور محمد البهي وزير الأوقاف الأسبق، والدكتور محمد عبدالله ماضي وكيل الأزهر الأسبق، والشيخ محمد الغزالي.

أما عن مؤلفات الشيخ محمود شلتوت فقد تنوعت المؤلفات العلمية للشيخ محمود شلتوت؛ ومن هذه المؤلفات:

١-فقه القرآن والسُّنة.

٢-مقارنة المذاهب.

---

(١) ينظر: جمهرة أعلام الأزهر ٥٩/٦

٣-يسألونك،وهو إجابة عن أسئلة تلقَّاها عن طريق الإذاعة.

٤-منهج القرآن في بناء المجتمع.

٥-القرآن والقتال.

٦-القرآن والمرأة.

٧-الإسلام والوجود الدولي للمسلمين.

٨-تنظيم النسل.

٩-الإسلام والتكافل الاجتماعي.

١٠-إلى القرآن الكريم.

١١-الإسلام عقيدة وشريعة.

١٢-من توجيهات الإسلام.

١٣-الفتاوي، وهي تعبر عن رأي الإمام في كثير من المشكلات العصرية والاجتماعية.

١٤-تفسير القرآن الكريم (الأجزاء العشرة الأولى).

١٥-الإسلام والتكافل الاجتماعي.

١٦-رسالة الأزهر[١] وهي التي بين أيدينا.

(١) ينظر: نثر الجواهر والدرر٢/ ١٥٥٥؛ ومشيخة الأزهر ٦٠٦/٢؛ و الأزهر في ١٢ عام، ص٧٢ محمد عبد الله ماضي وآخرون؛ والنور الأبهر في طبقات شيوخ الجامع الأزهر، ص١٢٩ محي الدين الطعمي.

وفاته:

مرض الشيخ محمود شلتوت ولكن المرض لم يؤثر على روحه المعنوية والنفسية فظلت عالية، ولم يكن المرض سببًا في عدم أداء عمله، ثم استدعى هذا المرض أخيرًا تدخل جرحي فتم إجراء عملية جراحية له تمت بنجاح واستبشر أحبابه وطلابه وأصدقاؤه خيرًا، ولكنها كانت خفقة السراج وصحوة الموت، فخرجت روحه إلى بارئها في مساء ليلة الجمعة (ليلة الإسراء والمعراج) وأدَّى المصلون عليه صلاة الجنازة في السابع والعشرين من شهر رجب سنة ١٣٨٣هـ الموافق ١٣ من ديسمبر سنة ١٩٦٣م[١].

(١)ينظر: مشيخة الأزهر٢/ ٦٠٧ ؛ ونثر الجواهر والدرر ١٥٥٥/٢؛ والأزهر في ألف عام، ١٨٦/٥ محمد عبد المنعم خفاجي، علي علي صبح.؛ وجمهرة أعلام الأزهر ٥٩/٦.

رسالة الأزهر[١]

١ - الوجود المعنوي للأمة الإسلامية:

كيف تبنيه الأمة؟ للإنسان في هذه الحياة فرداً كان أم جماعة شخصيتان: حسية ومعنوية. ولا يحظى بالوجود الكامل إلا إذا نال حظه من الشخصيتين، وشخصية الفرد الحسية يكونها: اللون، والطول، والعرض، وشخصيته المعنوية يكونها: إيمانه ومبدؤه وهدفه في الحياة، وما له من عقل وتدبير، وثبات ومثابرة، في سبيل مبدئه وهدفه .

والشخصية الحسية للأمة؛ ترجع إلى إقامتها في الإقليم الذي نشأت فيه، وإلى الأصل الذى تنتسب إليه.

---

(١) كلمة ألقاها فضيلته بالقاهرة في ٩ صفر ١٣٧٨هـ الموافق ٢٤ أغسطس ١٩٥٨م، وطبعت عام ١٩٥٩م.

أما شخصيتها المعنوية فهي ترجع إلى روابطها القلبية، والعقلية، والشعورية وعلي قدر ما يكون لها من التأثر بتلك الروابط المتفاعلة، والحرص عليها، وعلي معارفها التي تكونها، وعلي الإيمان بمصدر تلك المعارف، علي قدر ذلك كله يكون لها بين الأمم من آثار الوجود المعنوي.

(الدين مصدر القوى الفعالة)

٢ – ولو أن المسلمين ظلوا متمسكين بمواد شخصيتهم المعنوية، التي أفيضت عليهم من العليم الخبير الذي ينبع من القلب احترامه وتقديسه، والتي لها بمقتضى ذلك، نفس الاحترام والتقديس، والتي وجهوا بها العالم حيناً من الدهر، إلي كثير من الخير، وفتحوا بها للبشرية أبوابا من العلم النافع.

أقول: لو أن الأمة الإسلامية ظلت متمسكة بشخصيتها المعنوية هذه إلى يومنا هذا، لما كنا اليوم في حاجة إلى التحدث في موضوع " رسالة الأزهر" لأن رسالة الأزهر من يوم أن أنشئ هي بعينها المعارف الإلهية التي رسمت بها السماء للأمة الإسلامية، محيط شخصيتها المعنوية : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾[1].

---

(١) سورة آل عمران : آية ١٠٢

ولكن – والأسف يملأ القلب – قد تعرضت معارف هذه الشخصية في نفوس أهلها بالطغيان الأجنبي، لكثير من الضعف والانحلال، وتبع ذلك أن انسلخت الأمة، حينا من الدهر، قليلا أو كثيراً، عن نسج شخصيتها المعنوية واتجهت بهذا العامل نفسه، إلي خليط من شخصيات أخرى بشرية، مضطربة في نفوس أهلها، وغير متصلة ولا نابعة من قلوب أتباعها، صدر إلينا ذلك الخليط من آفاق عقدت النية والعزم، علي إضعاف القيم المعنوية لشخصيتنا، وعلي أن تلبسنا غيرها، وبذلك وقعنا في حيرة بين شخصية أصلية ننتسب إليها بلساننا، وتضعف صلتها بقلوبنا وجوارحنا، وبين شخصية أخرى ليس لها معالم بارزة، وليس لها من قلوبنا احترام، وسارع كثير منا إليها بقول معسول وأمل مكذوب، وزخرف براق :

﴿ فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَـٰرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ ﴾[1]. تعلقوا بها، وربطوا أنفسهم بعجلتها، واندفعوا في محيطها، يتحركون ويدورون.

وبذلك أُصبنا بهزَّة عنيفة، رثت بها حبال اتصالنا بشخصيتنا الإلهية.

(١)سورة المائدة: الآية ٥٢

إسعاف إلهي ينقذ هذه الأمة

٣ – و بينما تقف الشعوب الإسلامية بين الشخصيتين الأصلية والوافدة، هذا الموقف: موقف التردد والحيرة والاضطراب، والضعف والاستكانة، إذ يسعفها الله الغيور على تعاليمه ومعارفه، والذي يأبى إلا أن يتم في عباده نوره، وترسخ تعاليمه وإرشاداته بفتية من أبنائها، خلصهم من دون ذلك الخليط، فعرفوا حقيقة شخصيتهم، وآمنوا بها وأخذوا يعملون جهدهم في رد المسلمين إليها، وإنقاذهم من شر ما أصيبوا به، أو سارع بعضهم فيه، أخذوا يبحثون، و ينقبون، ويستعرضون ويتشاورون ثم يختارون ثم ينفذون. وكان من ذلك: هذا المؤتمر الثقافي الذي ضم رجال الإيمان والثقافة الذين عرفوا شخصيتهم، التي يعملون على إعادتها، وتقويتها، ونشرها.

وكان من جوانب البحث الهامة في هذا المؤتمر موضوع " رسالة الأزهر"؛ الذي شرفني المؤتمر بمهمة التحدث فيه.

سمو رسالة الأزهر

٤ - والواقع أن الحديث عن الأزهر يطول، ويطول بقدر ما سلخ الأزهر في الحياة من قرون، وبقدر ما أودع في المكتبة الإسلامية من مواد؛ خدم بها تلك الشخصية الإسلامية، واتسع نطاقها فخدم بها الإنسانية كلها، ويطول بقدر ما انتابه في حياته الطويلة، من عوامل ترفعه و تقويه تارة، وتنزل به وتضعفه أخرى والذي يعنيني في الحديث إلى حضراتكم، وقد وقفتم بمكانتكم العلمية، وحكم مراكزكم الثقافية على كل ذلك، وعلى منابع الشخصيات المعنوية للأمم، وتاريخها وآثارها وعلى منبع الشخصية الإسلامية، تاريخها وآثارها، إن الذي يعنيني من هذا الحديث هو كلمات أوحى بها فقط إلىّ الحقُّ و الواقع، وأجمل بها:

أولًا: رسالة الأزهر في ذاتها.

وثانيًا: وضعه من تلك الرسالة في وقتنا الحاضر.[١]

وثالثًا: وضعه الذي يجب أن يكون.

---

(١) كان ذلك عام ١٩٥٨م.

الأزهر حصن الفكر الإسلامي الأصيل

٥ – ورسالة الأزهر في ذاتها، تنبعث من موضوع الثقافة فيه، وموضوع الثقافة فيه، هو تراث الفكر الإسلامي الأصيل والحياة الإسلامية السليمة، ذلكم التراث الذي دُوِّن باللغة العربية وعَبَّر عن شتى جوانب الفكر في حياة المجتمع الإسلامي والعربي، ومصدر هذه الثقافة هو " القرآن الكريم، وأقوال الرسول محمد عليه السلام، وما يتصل بهما من شروح و تعليقات وتخريجات ". و إذا قلنا: القرآن والحديث، وهما عربيان، و ظهرا في جوٍّ عربي على لسان عربي، وبحكم عربي، كانت تلك الثقافة – دون شك – عربية إسلامية أو إسلامية عربية، والقرآن العربي ما جعل من غير المسلم مسلمًا، جعل من غير العربي عربيًّا، وكم من شعوب غير عربية، صارت بالإسلام والقرآن عربية، وكم من شعوب غير إسلامية صارت بالقرآن عن طريق العربية إسلامية، وبذلك

التقت العروبة والإسلام في محيط تلك الثقافة التي أفاضها القرآن، وامتزجتا وصارتا وحدة لا انفكاك لأحد عنصريها عن الآخر.

فالعربي غير المسلم ينزع إلى القرآن ويتجه إليه؛ لما يرى فيه من غذاء إيمانه، وشرائع ربه.

وإذن فليست العربية في هذا المقام، عربية الإقليم والجوّ، ولا عربية النسبة إلى أصل ينتسب إليه الجنس، و لقد رفع الإسلام العربية عن أن تكون عربية الإقليم و الجوّ، وعن أن تكون عربية النسبة إلى أصل معين، وصارت عربية الشخصية المعنوية المكوَّنة من عنصري: العروبة والإسلام، ولعل في هذا ما يزيل أو يخفف الغضاضة عند بعض الناس حينما نتكلم عن حياتنا، وثقافتنا ونقول: العروبة والإسلام .

٦ -إن الحديث عن رسالة الإسلام والعروبة وعن تاريخها، وتاريخ الدعوة إليها، والعمل على نشرها هو نفسه الحديث عن قيام المجتمع الإسلامي والعربي، وعن المبادئ التي ركز عليها هذا المجتمع، ونهض بها، وعن مراحل التطور في الكفاح من أجل بقائها ونموها.

والقرآن الكريم قد حدد أصول هذه المبادئ ورسمها بعربيته وهدايته، في نصوصه، وإشاراته، وإيحاءاته، وقد تناولت علاقة الإنسان مع ربه، وعلاقته مع نفسه، وعلاقته بمجتمعه ومع غير مجتمعه، كما تناولت: علاقة مجتمعه المستقل بإسلاميته وعروبته؛ بالمجتمعات البشرية الأخرى في السلم والحرب والتعاون.

الأزهر مركز الدراسات الإسلامية العربية

٧ -والأزهر بحكم أنه المركز الوحيد الذي بقي -بفضل صيانة مصر له -من بين المراكز التي قامت على خدمة هذه الشخصية، واضمحل أمرها أو آلت إلى الفناء بتسلط الطغيان الأجنبيّ. كان هو المركز الوحيد الذي يُعَدُّ الآن مركزًا عامًّا للدراسات الإسلامية، وما يتصل بها من دراسات عربية لجميع الشعوب الإسلامية والعربية.

وكان هو لذلك المعهد الوحيد المعنيّ بالمحافظة على القرآن ودراسته، باعتباره المصدر الإلهي لتلك الدراسات. كان هو المعهد الذي ألقيت على كاهله تبعات الاحتفاظ بتاريخ تلك الشخصية، وأعباء النهوض بها واستمرارها كما يريد الله.

الأزهر بيده أمانة القومية العربية

٨ - وبذلك كان طابع الأزهر - على رغم أن مقره القاهرة، وأن الجمهورية العربية المتحدة[١] هي التي ترعاه و تموله - طابعًا دوليًّا للعروبة والإسلام، كان هو القطب أو المنارة العالية التي تتجه إليها أنظار طلاب هذه الشخصية من هذه الشعوب: شعوب العالم الإسلامي والعربي، كان هو مصدر الإشعاع والتوجيه الإيماني و الحيوي في دراسته لمجموع تلك الشعوب، وكان في الوقت نفسه حبل الترابط القوي بين الجمهورية العربية المتحدة من جانب، والشعوب العربية والإسلامية من جانب آخر، وبالتالي كانت به مصر قبلة تلك الشعوب في تلك الدراسات: إليها تتجه، ومنها تستمد.

---

(١) كان ذلك الاسم وقت الوحدة بين مصر وسوريا التي بدأت في ٢٢ فبراير ١٩٥٨م.

٩ - وإذن فرسالة الأزهر رسالة ضخمة، ليست من الرسالات المحلية، وليست وقفًا على تنشيط الدراسات في بعض نواحي المعرفة الإنسانية العامة، التي يتناولها الناس جميعًا، والتي لا تكوِّن شخصية معينة وإنما هي رسالة تتجاوز ظاهر الحياة إلى باطنها، وتتجاوز توصيل المعرفة للفرد والجماعة إلى تنمية العلاقات بين الشعوب العربية والإسلامية، عن طريق القلب والإيمان وعن طريق اللغة العربية و تاريخها المشترك، كانت هي القوة والحبل الممدود من السماء إلى الأرض، الممهد للسياسة العربية الإسلامية، والممهد للمجال الحيوي لشعوب تلك السياسة .

سلطان الحق

١٠ – هذه رسالة الأزهر، في ذاتها وخطورتها ويؤلمني أن أقول – ولكن للحق سلطان – يؤلمني أن أقول: إن الأزهر في وضعه الحاضر، لا يؤدي هذه الرسالة إلا بالأسلوب التقليدي القديم، وإلا في نطاق محدود وصورة ضيقة في الكم والكيف، وإلى حضراتكم بعض الأمثلة :

الوعظ والوعاظ

أ- للأزهر قسم لتخريج الواعظ المرشد، الذي من شأنه أن يقوم بتنوير العامة في رسالة الدين في توجيه الفرد نحو نفسه، ونحو ربه، ونحو التعاون بينه و بين غيره، ونحو تبادل الإخاء والمحبة، ونحو روابط الأسرة، ونحو تنقية النفوس من بذور الحقد والكيد، ونحو الدفع إلى العمل مع حث الأفراد على صيانة الجماعة عن التفكك والانحياز، باعتبارها أمة وجماعة لها أهدافها وسبلها وغاياتها في الحياة، ولكن الأزهر لا يُقدِّم هذا الواعظ المرشد على الوجه الذي ينبغي أن يكون.

الواعظ الذي نرجوه

أما خطتنا وبرنامجنا فإننا نرجو في الواعظ قوة في العلم والإدراك والتدين، والتبصر بشئون الحياة، والدرس والسبر للنفسيات، نريد من الأزهر واعظًا مرشدًا: معرفة الحق والإيمان به والتضحية في سبيله رائده، وتهذيب النفوس وتقويمها في سيرها وسلوكها هدفه.

البعثات التعليمية الأزهرية

ب -للأزهر بعثات تعليمية في البلاد العربية والإسلامية، وهي بعثات تقوم بمجهود محمود في تلقين اللغة والدين ولكن يعوزها الإعداد الكامل من جهة: الإلمام بلغات البلاد التي يُبعَثون إليها وبعاداتها، وتقاليدها، ومذاهبها التي اتخذت سلاحا في تقطيع ما بين المسلمين من صلات الرحم الثقافي والإيماني.

معهد الدعوة ومعهد الإعداد والتوجيه

وكثيرًا ما تمنينا ورجونا إنشاء معهدين:

يخرج أحدهما الواعظ المرشد.

ويخرج الآخر المبعوث الذي يقوم بمهمة تنوير الشعوب بمقتضيات الشخصية المشتركة، توضع مناهجها بحسب ما توحي به الحاجة الزمنية إلى نوع الواعظ والمبعوث وقد كثرت في عهدنا الحاضر طلبات الشعوب الإسلامية للمبعوث والواعظ، حتى لا نكاد نجد شعبًا قريبًا أو بعيدًا، لم يلتمس من الأزهر أن يبعث إليه من أبنائه من يعلمه ويرشده، هذا عدا الجهات التي تئنّ تحت أثقال الجهل، والتي تعمل على احتكارها القوى المضادة.

ثم لا تجد منا هذه الشعوب في ملتمسها أو في واجبها علينا سوى الأسف والعدة بكلمة " إن شاء الله " !!

معهد البعوث الإسلامية

جـ - للأزهر معهد لاستقبال أبناء البلاد الإسلامية، وتعليمهم رسالة الإسلام، ولكن تنقصه القوى التي تؤهلهم، وتَعُدُّهُم لتثقيفِ أُمَمِهِم، على الوجهِ الذي يُشبعُ رغبتها في معرفةِ الإسلام من مصدره العربي، عن طريقهم إذا رجعوا إليهم.

أمم الأرض في الأزهر

في هذا المعهد طلاب من معظم أمم الأرض، ففيه السوداني والمغربي، والحبشي والسنغالي، والزنجباري، وفيه اليمنى، والإندونيسي، والفلبيني، والسيامي، وفيه التركي، واليوناني، والألباني، واليوغسلافي، وفيه الصيني، والهندي وفيه ... وفيه إلى آخــر ما اشتمل عليه الإحصاء التفصيلي لجنسيات الطلاب المنتسبين إليه.

معهد البعوث نشرات حية
إلى الأمم المحبة للسلام

ولعل حضراتكم توافقونني على أنه لا يوجد في العالم كله معهد يتكوَّن على هذا النحو، ويُقصَد بحكم الإيمان من جميع جهات المعمورة سوى « معهد البعوث الأزهري المصري "، وجدير بالجمهورية العربية المتحدة، ذات الهدف الواضح، أن تضع هذا المعهد – وهو من أقوى وسائل هدفها – في مقدمة ما تُعنى به في سبيل الحصول على هذا الهدف، هدف الصيانة والنمو للشخصية الإسلامية العربية، وقد كان من دلائل العناية التي نرقبها لهذا المعهد هذه المدينة السكنية الضخمة التي أقامتها حكومة الثورة [١] لإيواء هؤلاء الطلاب وسكناهم، ونرجو أن يتبع ذلك في القريب العاجل ظهور العناية بتنظيم هذا المعهد في دراساته،

(١) ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢م.

وأماكنه وإدارته، وفي جميع ما يحقق الغاية التي لأجلها تُعنى به الجمهورية والتي لأجلها بعث إليه المسلمون بأبنائهم، وسيكون أبناؤه في الوقت نفسه نشرات حية ناطقة متطورة إلى أممهم عن حياتنا الحاضرة و المقبلة .

المراكز الثقافية في الخارج ودعم رسالتها

د- للأزهر مركزان ثقافيان: أحدهما في لندن، والآخر في واشنطن، ومصر تفخر بقيام أبنائها الأزهريين على شئون الثقافة فيهما، ونحن نأمل أن تتسع رقعة المراكز الثقافية الإسلامية .

أولًا: بتزويد هذين المركزين بالجهاز اللازم: من علماء باحثين، ومعاونين، وكتب، ونشرات، وسجلات ومقالات.

وثانيًا: بزيادة عدد المراكز، وعلى الأخص أندونيسيا، والباكستان، و ألمانيا، واليابان، و الفلبين، وغيرها من البلاد التي تعلم أن حاجة المسلمين فيها إلى التنوير الإسلامي، وإلى صد هجمات الناقمين على الإسلام شديدة قوية، ذات ألوان مختلفة، و أساليب ماكرة.

مهمة مراقبة الثقافة

هـ - وفي الأزهر مراقبة بحوث و ثقافة، وأول ما يجب أن تُعنى به هذه المراقبة في الأزهر، هو الإلمام بكل ما يكتب عن الإسلام وثقافته له أو عليه، ثم القيام بتصحيح الأخطاء الفكرية التي ينسبها إلى الإسلام المغرضون، أو يصورون بها بعض مبادئه على غير وجهها وهذه المهمة تستدعي بطبيعتها الاتصال بآثار جميع الجهات، والمعاهد والمجلات والنشرات، والكتب العالمية التي تتحرك، وتعمل في نطاق يمس شخصيتنا العربية الإسلامية، وتستدعي كذلك أن تكون ذات جهاز مزود بالمعرفة التامة، والإلمام بجميع اللغات التي تعمل في هذا الحقل.

ولكن مما يؤلم حقًّا أن تصور مهمة هذه المراقبة - مع ضخامتها كما ترون، وكما تعلمون -بأنها لا تعدو العمل شهرًا واحدًا في السنة تختار فيه المبعوثين للتدريس، والوعظ في الشعوب الإسلامية والعربية، ومن هنا كانت هذه المراقبة جديرة بالعناية في التركيز على النحو الذي يحقق غايتها في أهم جوانبها الذي أشرنا إليه، والذي يتمشى مع الروح التي وضع لها بمقتضاه في ميزانية الأزهر بند مالي كفيل بتحقيق هدفها المأمول.

تطور وإصلاح في كليات الأزهر

و-وفي الأزهر بعد هذا وذاك، معاهد لتخريج علماء الشريعة " الفقه"، وعلماء اللغة العربية، ولا نريده في المعهدين تخريجاً مدرسياً فقط، مهمته الفصل والمعهد.

علماء مجتهدون في الدين واللغة

وإنما نريده تخريج تبريز لأئمة في اللغة وفروعها، وأئمة في الفقه وأصوله، نريده تخريجًا أساسه النظر العميق، والاجتهاد العلمي الذي يكوِّن الشخصية الفقهية، والشخصية اللغوية العربية، لا نريده تخريجًا تُلتزم فيه مخلفات الماضي من آراء ومذاهب، بل يجب أن نجتهد، وأن نؤمن بأن حاجة اليوم في الفقه واللغة وعقائد الدين غيرها بالأمس، وأن نؤمن بأن فضل الله في كل ذلك لم يكن وقفًا على الأولين وغير صحيح ما يقال : « إن السابقين حلَّلوا المصادر وقعَّدوا القواعد، وطبقوها على كل ما يمكن أن يجئ به الزمن ويحدث للناس من أقضية وحاجات »، وكذلك يقال في معهد تخريج العقيدة الذي وقفنا فيه كذلك عند قديم من النظريات والاستدلال.

جماعة كبار العلماء[١] ومهمتها

(ز) وحرصًا على وجود النوع الرفيع من البحث في الأزهر بالنسبة لمواده الأصلية رُئِي من قديم، في قانون سنة ١٩١١م أن يكون في الأزهر فئة تُسمى (هيئة كبار العلماء)، أو جماعة كبار العلماء، تكون المرجع في القيادة العلمية والتوجيهية على هذا النحو الرفيع، وقد كُوِّنَتْ بالفعل منذ ذلك الوقت، وظلت موجودة فقط بأشخاصها الذين اختيروا لها، وامتيازاتها الثانوية إلى سنة ١٩٥٤م، فصدر لها تعديل قانوني آخر، لم يحظ بشيء من التنفيذ إلا فيما يختص بالإحالة على المعاش، لمن يبلغ من أعضائها الخامسة والستين من عمره، وبذلك أخذ عددها في التناقص حتى لم يبق الآن منهم سوى أربعة أو خمسة لا يشتغل واحد منهم في شيء من اختصاصها الذي حدده ذلك التعديل، وبذلك حرم الأزهر ما كان مقدرًا لثقافته على أيدي هذه الفئة.

---

(١) سميت بذلك في عهد الشيخ مصطفى المراغي (ت ١٣٦٥هـ/ ١٩٤٥م)

مشروع لربط الشعوب الإسلامية عن طريق علمائهم

ولدينا الآن مشروع أعتقد أنه إذا صادفه الحظ لا يرتفع بالتثقيف في الأزهر فقط، وإنما يربط الشعوب الإسلامية عن طريق علمائها، ويقضي في الوقت نفسه على ما بينهم من تناكر بسبب الآراء والمذاهب، وما أشد حاجة الجمهورية العربية المتحدة الآن إلى مثل هذا الجهاز.

إعداد طلاب الأزهر لرسالة الإسلام

١١ – هذه هي رسالة الأزهر في وضعها الحاضر، وهي كما ترون لا تترجم الرسالة الثقافية المنشودة من الأزهر تمامًا، كما أنها لا تسلك الطريق إلى النتائج التي ننتظرها من دراسة القرآن وما يتصل به، وإذًا يجب أن يُعاد النظر حالًا في مناهجه و كتبه على الوجه الذي تعبر به تلك المناهج والكتب عن الحلول الواضحة

لمشاكل المسلمين المتجددة، فيما بينهم وبين غيرهم، وفيما بينهم بعضهم مع بعض، يجب أن يكون إعداد الطالب فيه إعدادًا لرسالة الإسلام نفسه، لا إعدادًا للون ثقافي خاص، لا يهيئ لأكثر من وظيفة للعيش، يجب أن يكون إعداده إعداداً لفهم القرآن، وتطورات تاريخ فهمه، ولفهم الحياة الفكرية الحاضرة ولمعرفة اللغات المعبرة عنها.

خطط الإصلاح ووسائله

هذا الإصلاح ليس من الصعب رسم خططه ومناهجه، وليس من الصعب الإشراف عليه وتنميته، والسير به في طريقه .

فنحن و الحمد لله لدينا في الجمهورية العربية المتحدة[١] – ذات العناية بهذا المعهد في دراساته وأهدافه – لدينا العقول المفكرة، و القلوب المؤمنة، و المعارف الواسعة الناضجة، لا أقول من الأزهر فقط ولا من وزارة التربية والتعليم فقط، وإنما أقول : من هذه العقول كلها نجرد الحملة القوية، التي ترسم خطط هذه المناهج وتركزها على العمد القوية.

(١) كان ذلك الاسم وقت الوحدة بين مصر وسوريا التي بدأت في ٢٢ فبراير ١٩٥٨م.

مؤيدات الإصلاح وأغراضه

وإن الثورة الحية الناهضة من ورائهم تزود الأزهر بالهيمنة والرعاية التوجيهية، وبذلك يتحقق للجمهورية العنصر القوي، الذي يضمن لها أن تصل قريبا إلى أهدافها التي تكمن في كلمة (استقلال).

زعامة وقوة وتوجيه

١٣ – إن القاهرة أصبحت بفضل الله مركز التوجيه السياسي في وقتنا الحاضر، وهي باتجاهها الصناعي في سبيل الزعامة الاقتصادية، وهي تضع في أول حسابها فيما يحفظ لها هاتين الزعامتين، أن تكون بسبيل قويٍ كذلك إلى الـزعامة الثقافيـة "العربية والإسلامية " .

حصانة وأمان لهذه القوة

وليس من سبيل إلى هذه الزعامة سوى الإعداد لمقاومة الفكر الوافد إلينا عن طريق الاستشراق والإلحاد، هذا الفكر الذي من شأنه أن يزعزع القيم الإسلامية في النفوس، وأن يمزق وحدة المسلمين والعرب عن طريق الغزو العقلي، والاستعمار القلبي. وإن من يتتبع تاريخ الغزو الاقتصادي والسياسي لا يكاد يجده إلا نتيجة و أثرًا لهذا الغزو العقلي، وإنه لغزو شديد يملك على الناس قلوبهم، ويصرفهم عن أنفسهم إلى ما يريد.

ولا يظن ظانٌّ أننا بهذا نسدُّ على أنفسنا مجال الانتفاع بما قد يكون من نتائج البحث الأجنبي الدقيق في مظاهر الحياة العامة ووسائلها، فنحن نفسح أمام أنفسنا مجال ذلك، والإسلام يدفعنا إليه.

المعارف الإلهية أمان للدولة وقوة لها

١٤ -إن محمد بن عبد الله عليه صلوات الله - وهو المكلف من ربه بتبليغ معارف الشخصية العربية الإسلامية، وتوجيه الناس إليها - لم يتجه إلى مكافحة الغزو السياسي والاقتصادي في بيئته إلا بعد أن تمت له مكافحة الغزو العقلي والقلبي فيها، عن طريق محو الشرك والوثنية، وعن طريق الإيمان بالله وحده، وحينما تمت له مكافحة هذا الغزو القلبي، وأنس هذا الغزو من امتلاك القلوب، اتجه بالإيمان نفسه إلى مكافحة الغزو السياسي حفظًا لشخصية الأمة، وحفظًا لمبادئها في النفوس، واتجه كذلك إلى مكافحة الغزو الاقتصادي عن طريق منع الاستغلال، والاحتكار، والطغيان المالي، وبذلك كملت لشخصيته عناصر الاستقلال المطلق الكامل، استقلال العقل، واستقلال السياسة، واستقلال الاقتصاد؛ وما كان ذلك كله إلا بفهم القرآن، والاتصال بالحياة الواقعية.

هذه هي قمة المجد وطريق السؤدد

وبدراسة القرآن، وما يتصل به من مصادر الرسالة الإسلامية، وإعداد الأزهر لذلك على الوجه الذي أشرنا إليه، نصل إلى الخير، وإلى السعادة، وتقتعد الجمهورية العربية المتحدة قمة المجد.

﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ ﴾[1]

والسلام عليكم ورحمة الله.

القاهرة (٩ من صفر سنة ١٣٧٨ هـ ٢٤ من أغسطس سنة ١٩٥٨م)

(محمود شلتوت)

---

(١) سورة الإسراء: الآية ٩.

فهرس المحتويات

افتتاحية ٥
الشيخ محمود محمد شلتوت ١١
رسالة الأزهر ٢٣
(الدين مصدر القوى الفعالة) ٢٥
إسعاف إلهى ينقذ هذه الأمة ٢٨
سمو رسالة الأزهر ٢٩
الأزهر حصن الفكر الإسلامي الأصيل ٣٠
الأزهر مركز الدراسات الإسلامية العربية ٣٣
الأزهر بيده أمانة القومية العربية ٣٤
سلطان الحق ٣٦
الوعظ والوعاظ ٣٦
الواعظ الذي نرجوه ٣٧

البعثات التعليمية الأزهرية ٣٧
معهد الدعوة ومعهد الإعداد والتوجيه ٣٨
معهد البعوث الإسلامية ٣٩
أمم الأرض في الأزهر ٣٩
معهد البعوث نشرات حية إلى الأمم المحبة للسلام ٤٠
المراكز الثقافية في الخارج ودعم رسالتها ٤٢
مهمة مراقبة الثقافة ٤٣
تطور وإصلاح في كليات الأزهر ٤٤
علماء مجتهدون في الدين واللغة ٤٤
جماعة كبار العلماء ومهمتها ٤٥
مشروع لربط الشعوب الإسلامية عن طريق علمائهم ٤٦
إعداد طلاب الأزهر لرسالة الإسلام ٤٦
خطط الإصلاح ووسائله ٤٨

مؤيدات الإصلاح وأغراضه ٤٩

زعامة وقوة وتوجيه ٤٩

حصانة وأمان لهذه القوة ٥٠

المعارف الإلهية أمان للدولة وقوة لها ٥١

هذه هي قمة المجد وطريق السؤدد ٥٢

فهرس المحتويات ٥٣

الأزهر الشريف

هيئة كبار العلماء